

توظيف الفرنسية في العامية الجزائرية

د. لمياء مرتاض - نفوسي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم (الجزائر)

ملخص البحث:

تُعتبر اللغة وسيلة الاتصال بين الأفراد والشعوب. هي مرتبطة بشكل المجتمع، بنياته، بالرموز التي تسيّرّها، حاملة بذلك نسقا من التمثيلات، تصورا وتفسيرا عما يدور حولها، محددة بذلك العلاقة مع "الآخر".

تعرضت العامية الجزائرية إلى تغيرات في بنيتها، نظرا لاحتكاكها بالكثير من الحضارات والشعوب: اللغة العربية، اللغة الإسبانية، اللغة التركية واللغة الفرنسية. كان لهذه الأخيرة التأثير الأكبر على العامية الجزائرية. الكثير من الكلمات الفرنسية أُدخلت على قاموس العامية الجزائرية، كنتاج ليس لما حدث في الجزائر بشكل خاص - قاصدين بذلك الحقبة التاريخية للاستعمار الجزائري - بل كنتاج لما يحدث في العالم برمته، استنادا على منطق خاص متعلق بسياق جديد ألا وهو عالم تكنولوجيات الإعلام. في هذا المقال، سنحاول تحديد النقاط التالية:

- وظائف اللغة في المجتمع

- تأثير الواقع على اللغة

- كيفية استخدام الفرنسية في العامية الجزائرية

Usage du français dans la langue parlée algérienne

Dr. Lamia MORTAD-NEFOUSSI

Université de Mostaganem/Algérie

- Résumé :

Dans cet article, nous allons essayer de déterminer les points suivants :

- Les fonctions de la langue dans la société
- Les effets de la langue sur la réalité : est-ce que c'est la réalité qui modifie la langue ou l'inverse ?
- L'usage du français dans la langue parlée algérienne

Tout en montrant que les termes introduits dans la langue parlée reposent sur une logique : ils sont utilisés dans un contexte spécifique nouveau, répondant ainsi à un nouveau besoin lié à de nouvelles prérogatives, de nouvelles conditions de vie : le monde des nouvelles technologies de l'information et de la communication qui se sont répercutées sur l'usage et le contenu de la langue parlée.

- اللغة، الكلام، و اللهجة: تُعرّف اللغة (langue) على أنها "كل وسيلة لإيصال الأفكار والأحاسيس. هي استخدام الكلام" (1) (la parole).

وقد يخلق البعض بين مفهومي اللغة والكلام. غير أن الأخير يعني مجموع الأفعال التي يقوم بها الأفراد عند استخدامهم للغة ما للتعبير عن شيء ما. بمعنى، أننا نستخدم اللغة لإنتاج الكلام. تُعتبر اللغة همزة وصل بين الأفراد والشعوب، تمكّنهم من التفاهم والتواصل بينهم من خلال مجموعة من الرموز. وهي في الأصل ومن حيث الشكل، "مجموعة من المقاطع الصوتية، يصطلح قوم على التفاهم والتعبير بها عن أغراضهم في الحياة." (2)

يعرفها Saussure على أنها "نسق من الإشارات التي تدرس الأفكار. وبذلك، فهي تُقارن بأبجدية الصم والبكم، الطقوس الرمزية، أشكال الآداب، الإشارات العسكرية. غير أنها الأهم في هذه الإشارات." (3) إذن، اللغة نسق من الإشارات المتبادلة، ومكانتها هي الأعلى مقارنة بالأنساق الأخرى. كما يتصورها على أنها "في آن واحد بنية للعمليات الذهنية لدى الأفراد الذين يستعملونها، وكذلك بنية للعمليات التواصلية التي بواسطتها يؤدي مجتمع ما وظيفته كونه كيانا حضاريا." (4) يمنحها Saussure مكانة خاصة في سلم الأنساق. وهي بالنسبة له "كنز مودع عن طريق ممارسة اللفظ لدى جماعة من الأشخاص المنتمين إلى مجموعة واحدة. وهي نظام نحوي يوجد بالقوة في كل دماغ أو في أدمغة مجموعة من الأفراد." (5)

ولا يتأتى ذلك إلا من خلال شبكة من العلاقات الاجتماعية يتبادل الأفراد المنتمين إلى مجتمع ما مجموعة من الإشارات يدركون شفرتها ودلالاتها. وهي بذلك "تفترض في كل فرد درجة من إتقان نظام الإشارات اللغوية المتمثل داخليا." (6) ويؤكد Saussure على فكرة مفادها أن اللغة "لا تكتمل في أي فرد وحده ، ولكنها توجد لدى الجماعة بدرجة الكمال." (7)

بمعنى، أن اللغة نسق من الأنساق الاجتماعية لا تتحقق وظيفتها إلا من خلال الاتصال والتفاعل الاجتماعي (interaction sociale)، هذا الذي يضمن بقاءها واستمراريتها. ونجد ابن خلدون قد تحدث عن هذه القضية حينما صرّح بأن اللغات "كلها ملكات شبيهة بالصناعة..." وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنما بالنظر إلى التراكيب." (8)

وهذه التراكيب هي نظام بنيوي خاص يُفهم من خلال عملية التلقي التي يتعود الأفراد عليها منذ نشأتهم، فيستعملونها بشكل مستمر إلى "أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة." (9)

ولا يمكن أن تستمر لغة إلا بفعل تداولها بين مجموعة من الأفراد، تلقنها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية (socialisation) لمجموعة من الأفراد الآخرين. وهكذا دواليك، حيث يقول ابن حزم الأندلسي في هذا الشأن: "اللغة يسقط أكثرها ويظل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم." (10)

فاللغة تستمر بتداولها. وإذا أُدخلت عليها عوامل جديدة كالاستعمار، فإنها إما تُدخّل عليها الكثير من الألفاظ المحينة أو تختفي من الوجود نظرا لعدم استمرارية تداولها من طرف الأهالي المحليين.

نجد اللغة تحمل بين طياتها مجموعة من الأفكار تقرب بين الناطقين بها، وليست فقط وسيلة اتصال محايدة. فهي تُستخدم "لتمييز عن الآخرين. تستخدمها جماعة ما لتدل على أنها مختلفة عن الأخرى." (11)

ولا يتأتى ذلك إلا من خلال فك منظومة من الرموز المتفاهم عليها. وهي بذلك توحد بين أفراد المجموعة الواحدة وتميزهم عن الذين يختلفون عنهم في آن واحد. ولا يتشكل المعنى (sens) إلا "بالتفاعل بين استخدام هذه الشفرات (codes) والعوامل التي أدت إلى استخدامها." (12) إذا، هذا المعنى لا يتشكل إلا في إطار سياق اجتماعي وثقافي خاص.

هذا من جهة. ومن جهة أخرى، تحمل اللغة صورة عن المجتمع. زيادة على اعتبارها وسيلة اتصال، اللغة معاشة في سياق خاص.

واللغة حسب Heidegger ليست "شكلا من التبليغ (...). تعبيرا صوتيا وكتابيا عما يجب تبليغه" (13)، إذ لا يمكن حصرها في هذا المجال فحسب. إضافة إلى ذلك، فهي "ما يجلب أولا للكائن ككائن إلى المجال المفتوح." (14)

حسب هذا التصور، "اللغة هي التي تتحدث من خلال الكائن (...). حيث ينتهي الكلام إلى ضرب من الممارسة البشرية تستهدف التعبير عن رؤيا العالم، وما يجيش داخل النفس." (15)

فعلينا في هذه العملية الإنصات للكلام، إلى تأثيره على النفس ونتحاور معه لنقترب من الحقيقة. بمعنى، أنه عندما نتحدث اللغة ينفتح الكائن على الوجود، من حالة الخفاء إلى اللاخفاء.

أما Habermas، فإنه عند انتقاده لمفهوم Marx للعمل، يقول إنه في تصوره للعمل قد أغفل "التفاعل أو النشاط التواصلي كتفاعل اجتماعي الذي يتم بواسطة مجموعة من الرموز والقواعد

الإجبارية التي تحدد ما يتوقعه طرف ما من سلوك الطرف الآخر. وتستمد هذه الرموز معانيها من اللغة الجارية. (16)

هنا، يرى Habermas أن العالم المعاصر منقسم إلى قسمين اثنين: الأول يخص عالمنا المعيش الذي "تقوم بنياته على اللغة والتواصل" (17). أما العالم الثاني، فيخص عالم الأنساق الذي يتميز بالأدائية والعقلنة الحسابية، وهنالك هوة بين العالمين الاثنين في المجتمعات المعاصرة. تلعب اللغة في العالم الأول دوراً أساسياً في التواصل بين الأفراد. أما الأنساق، فتخضع لمنطق الحسابية والأدائية التي تفشت في المجتمعات المعاصرة. وحتى تُسدّ الفجوة بين العالمين الاثنين، يجب إعادة الاعتبار للمنظومة المعيارية التي مصدرها العادات، التقاليد والدين حتى يتم التواصل الاجتماعي المبني أساساً على التفاعل الاجتماعي والذي مصدره اللغة، بما تحمله من رموز ودلالات.

يحاول Habermas إخراج اللغة "في جزئها الممارس إلى عالم يجعلها تدخل في علاقة مع جملة من الحقائق التي تتواجد خارج اللغة (المتثلة) في مقاصد المتكلم والثقافة المشتركة والحقيقة الخارجية". (18)

وفي هذه الحالة فقط يمكن تجاوز ما توصلت إليه العقلانية الأدائية بفعل التقنية المسيطرة عليها والوصول إلى عقلانية تواصلية أساسها العلاقات التي يقيمها المتكلمون مع بعضهم البعض والتي ينجر عنها التفاعل حين يتم الاتفاق على أمور معينة.

اللغة نظام من المعاني المستوحاة من الرموز التي تحملها. والرمز هو الذي يكون أساس الاتصال. و"المعاني لا تُنقل، وإنما الذي يُنقل هو الرمز أو الرموز. وهذه الرموز نأخذ منها المعاني التي تعلمناها". (19)

هذا عن اللغة. أما اللهجة (Dialecte) -و التي كانت في القديم تعني في نفس الوقت اللهجة المحلية (Patois) - فهي تتشكل من خلال "صيغورات للتمييز داخل لغة واحدة في المجالات اللفظية، المورفولوجية، النحوية والمعجمية". (20)

إذن، نتجت اللهجات المختلفة عن اللغة. ستتطور الأولى بمرور الوقت مبتعدة تدريجياً عن اللغة الأم والتي في آخر المطاف لن يفهمها الجميع، بعد فترة كانت جماعات مختلفة تفهمها وتتعامل بها في التواصل. ولكن كليهما مرتبط بالآخر ارتباطاً وثيقاً إلى درجة أنه يصعب في بعض الحالات التمييز بينهما. وبالفعل، فإننا "نحسب 5000 لغة مختلفة عبر العالم" (21) بدون التمييز التام بين اللغة واللهجة. وعند تحديد Calvet لمفهومي اللغة واللهجة، فقد أشار إلى فكرة هامة

مفادها أن "اللغة هي لهجة نُحِت على المستوى السياسي".⁽²²⁾ إذا أخذنا مثلاً حقبة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، فإن اللغة الفرنسية كانت اللغة الرسمية على غرار اللغة العربية. ويتحدث ابن خلدون عن مسألة خلق اللهجات عندما يوضح كيفية نشأة الشعر الملحون (*): قائلاً: "ولما فسد لسان مضر ولغتهم التي دونت مقاييسها وقوانين إعرابها، وفسدت اللغات من بعد بحسب ما خالطها ومازجها من العجمة، فكان تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الأعراب جملة، وفي الكثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات".⁽²³⁾

وهكذا، يوضح العلامة أنه بفعل عملية المثاقفة (Acculturation) التي نتجت بفعل التفاعل والاحتكاك بين العرب والعجم، وبالتأكيد كان ذلك بفعل الفتوحات الإسلامية للبلدان الأعجمية، فإن اللغة العربية بمقاييسها وقوانين إعرابها قد طرأت عليها تغيرات، وخلقت اللهجات في الوطن العربي على تباينها. كما يؤكد هذه النقطة منيف موسى حين يقول: "إن انحراف اللهجات العامية عن الفصحى سببه تداخل العرب- عبر غير قناة بشعوب أخرى".⁽²⁴⁾

أما عن العامية الجزائرية وكيفية نشأتها، فيصرح عبد الملك مرتاض قائلاً: "منها ما ينشأ عن الوراثة أو الطبيعة، ومنها ما ينشأ عن البيئة والحوار، ومنها ما ينشأ عن الاختلاف الناشئ عن اختلاف الجنس واللغة والطبيعة الفيزيولوجية نفسها".⁽²⁵⁾

تختلف اللهجات كظاهرة لغوية اجتماعية لتأثرها بعدة عوامل، وفي هذه النقطة يذكر لنا الباحث بعضاً منها. فاللهجة وراثية يتم تناقلها من جيل إلى جيل. ثم، يتم تعلمها عبر التنشئة الاجتماعية من خلال احتكاك الأفراد ببعضهم البعض. كما أنها تنشئ عن التباينات الجنسية واللغوية من جماعة اجتماعية لأخرى. وهكذا، نجد العامية الجزائرية التي "يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية التي تختلف من جهة إلى أخرى، بل أحياناً تختلف من قرية إلى قرية مجاورة لها".⁽²⁶⁾

إذن، العامية الجزائرية (Langue parlée algérienne) عبارة عن نسق لغوي متكون من عدة بنيات لغوية متباينة، من منطقة إلى أخرى إلى درجة نعتقد بأن هذا المفهوم أقرب إلى اللهجة المحلية (Patois) من مفهوم اللهجة (Dialecte) بشكل عام.

- وظائف اللغة: تؤدي اللغة عدة وظائف في المجتمع. ولعل أبرزها هي التي حددها André Martinet حيث يرى بأن الوظيفة الأساسية للغة تتمثل في "تمكين كل إنسان من إيصال تجربته الشخصية للآخرين".⁽²⁷⁾

فالإنسان يتصل بالمحيطين به بواسطة اللغة، التي يفهمها كلا الطرفين: المرسل و المستقبل. وفي هذه العملية، نبذه يرسل رسالة تعبر عن تجاربه الخاصة.

وفي هذا السياق، يرى Buhler بأن العناصر المكونة للغة هي ثلاثة: المرسل، المستقبل والسياق. المرسل، هو الذي يصدر عنه الكلام. أما المستقبل، فهو المعنى بالكلام. وفي الأخير، يعني السياق، تحديد الظروف التي أنتج فيها الخطاب أو الكلام. بذلك، تُعتبر اللغة فعلا اتصاليا تقوم به مجموعة من الأفراد للاتصال فيما بينهم.

من جهته، فقد حدد Roman Jakobson وظائف كل فعل اتصالي (acte de communication) بست، وهي:

- الوظيفة الإحالية (référentielle): تُحال الرسالة إلى واقع معين.
- الوظيفة الانفعالية (émotive): هي تجلي الذاتية في الخطاب.
- الوظيفة الاعترامية (conative): هي موجهة للمرسل إليه بغية التأثير عليه.
- الوظيفة الشعرية (poétique): يمكن تحديدها على أنها تقييم لمحتوى رسالة باستخدام بعض الأساليب كالتكرار، التماثلات.
- وظيفة المحافظة على الاتصال (phatique): تهدف هذه الوظيفة إلى إقامة الاتصال.
- وظيفة ما وراء اللسانيات (métalinguistique): تمكّن من القيام بخطاب حول الرسالة. (28)

تتمثل الوظيفة الإحالية في تحديد السياق الذي أنتجت فيه الرسالة. الوظيفة الانفعالية تتعلق بمرسل الرسالة. فيما يخص الوظيفة الاعترامية، فهي تخص في هذه الحالة الذي تُرسل إليه الرسالة. أما الوظيفة الشعرية، فتستهدف الرسالة في حد ذاتها، بمحتواها حتى تؤثر على المستمع. وعندما نصل إلى تحديد وظيفة المحافظة على الاتصال، فيعني أننا نركز على العلاقة التي تُبنى - بفضل الاتصال الشفوي - بين المرسل والمستقبل ونعمل على ديمومتها كأن نسأل الذي على الطرف الثاني من الهاتف: "ألو، هل تسمعي؟"

وفي الأخير، نصل إلى تحديد وظيفة "ما وراء اللسانيات" التي تمكّن من وضع شفرة (code)، معنى للكلمات المستخدمة، المفهومة من كلا الطرفين.

غير أن هذه الوظائف ليست منفصلة، هي بالعكس من ذلك. فهي مرتبطة وفي علاقة تفاعلية ببعضها البعض، وتهدف في الأخير إلى إقناع المستمع. وبالرغم من تعدد وظائف الفعل

الاتصالي، إلا أنها تتفق على أنها عملية اتصالية تهدف إلى التواصل بين الأفراد، بواسطة نسق إشارات يتفق عليه كل من المرسل والمتلقي.

- خصائص اللغة: لكل مجتمع أو جماعة اجتماعية ما نظام لغوي متكون من الآلاف من الكل مات التي تستند على نسق نحوي معين، يتم من خلاله تركيب جمل تفيد في الاتصال بين الأفراد، في نظام تركيبى خاص بكل لغة. ومهما تعددت اللغات في المجتمعات البشرية، إلا أنها تشترك في خصائص أساسية هي كالتالي:

"أولاً، اللغة خطية (linéaire)، ثم إنها تتحكم فيها قواعد نحوية وهي نظامية (systematique). وفي الأخير، اللغة تعسفية (arbitraire)." (29)

تتمثل الخاصية الأولى للغة في كونها خطية، بمعنى أنها تصدر أصواتاً بشكل تعاقبي. ثم، تتمثل الخاصية الثانية في كون اللغة تخضع لقواعد نحوية خاصة بها، تتميز بها كل لغة عن الأخرى. وكونها نظامية، يعني أنها تخضع لنظام منطقي تراكمي خاص بكل واحدة منها، يمكن من التركيب بين أصوات محدودة. وفي الأخير، تُعتبر اللغة تعسفية، بمعنى أنه لا توجد صلة بين "الفكرة التي تعبر عنها والوحدة اللسانية التي تشير إليها." (30)

وهذا ما يفسر التباين بين اللغات المختلفة وعدم إدراكها من طرف الآخرين. ولاكتساب لغة جماعة ما، يتم ذلك بواسطة عملية التعلم (apprentissage). فاللغة يتم تعلمها وهي ليست مكتسبة. تبدأ لدى الطفل منذ سن مبكرة، عن طريق التنشئة الاجتماعية التي يتمثل دورها في نقل قيم المجتمع من جيل لآخر، باعتبارها تلك "السيرورة الاجتماعية التي يتعلم من خلالها الأفراد القيم، المعتقدات، المعارف والمعايير الاجتماعية لمجتمعهم. تبدأ هذه الصيرورة عند الولادة وتستمر طوال حياة الفرد." (31)

كما تعتبر تلك العملية التي يتعلم بها الأطفال أو الأعضاء المستجدون في المجتمع أساليب الحياة في مجتمعهم. وتعد التنشئة الاجتماعية الوسط الأول والقناة الأساسية التي يجري فيها نقل الثقافة وانتقالها على مدى الأجيال." (32)

وتتم تلك العملية عبر عدة فاعلين مؤثرين، بداية بالأسرة، فشلة الرفاق، المدرسة، الشارع، المسجد، وسائل الإعلام والاتصال المختلفة... الخ.

وبالفعل، تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية منذ مرحلة الطفولة، حيث يتعرف الطفل على المنظومة القيمية الخاصة بمجتمعه أو بالجماعة التي ينتمي إليها، فيتعرف على معاييرها، قيمها،

رموزها، لتوجّه سلوكه وتصرفاته تدريجيا. كما يتعلم الأطفال عن طريقها لغة الجماعة التي ينتمون إليها حتى قبل ولادتهم، وهم في بطن أمهاتهم.

وبالفعل، فالسمع (l'écoute) هو أول حاسة يتمتع بها الإنسان وهو في الطور الأول من تطوره في بطن أمه، وقد ثبت ذلك علميا. غير أن القرآن الكريم قد سبق العلم في ذلك لعدة قرون، إذ يقول الله تعالى "وَجَعَلْ لَكُم السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ." (33)

ولم يخلق الله شيئا عبثا. فقد خلق السمع قبل الحواس الأخرى ليتمكن الجنين من سماع كل ما يدور في وسطه وهو في بطن أمه، باعتبار السمع حاسة ضرورية " لأخذ المعطيات السمعية". (34)

هذه المعطيات لها علاقة وطيدة باكتساب اللغة وباكتساب قيم وثقافة المجتمع الذي سينتمي إليه هذا الجنين عند ولادته. فيخزن هذه المعطيات ليبنى بها شخصيته فيما بعد، ولتتحدّد كذلك اتجاهاته وتصرفاته، حيث يوضح Janov أن " جسم الإنسان يخزن كل التجارب ولا ينسى شيئا حتى وإن كان ذهنه الواعي غير قادر على إعادة إحياء هذه الأحداث". (35)

فكل الأحداث التي مرت على الجنين، يقوم بتسجيلها ثم يستعرضها - ولو بشكل غير واع - في حياته وفي تفاعله مع الآخرين، ابتداء من مرحلتى الرضاعة والطفولة من خلال التواصل باللغة المتفق عليها من طرف أفراد الجماعة، " إذ أن الأطفال يتعلمون فيها اللغة وأنماط السلوك الأساسية التي تشكل الأساس لمراحل التعليم والتعلم اللاحقة". (36)

إذن، تعلم اللغة هو نشاط اجتماعي، يتم من خلال تفاعل الطفل مع محيطه والأشياء التي يتعامل معها في حياته اليومية.

استخدام الفرنسية في العامية الجزائرية: بما أن اللهجات تنشأ عن البيئة والجوار، فإن محتواها يتغير من فترة إلى أخرى، حسب السياق والظروف المستجدة.

وعند دراستنا لكيفية استخدام الفرنسية في العامية الجزائرية، فإننا خصصنا ثلاثة أشهر (من ديسمبر 2013 إلى غاية نهاية فبراير 2014) للدراسة الميدانية لتجميع أكبر عدد ممكن من الأفعال (Verbes) ذات الأصل اللغوي الفرنسي (والتي بلغ عددها 101 فعلا) التي أُدججت في العامية الجزائرية والتي قمنا بتصنيفها إلى مجالات استخدامها*.

فتوصلنا إلى النتائج التالية:

1- تُستخدم الأفعال في سياقات خاصة: كل مجموعة أفعال تخضع لسياق سوسيو-ثقافي

خاص. هي نظام من الأفعال تحمل مجموعة من القيم خاص بواقع معين، كنظام من الإشارات يتفق عليها كلا الطرفين: المرسل والمستقبل.

بلغ عددها أحد عشر مجالا والمتمثلة فيما يلي:

المال: Encaisser-virer

التجميل: Se coiffer-se maquiller

السفر: Réserver-voyager-annuler

الشاطئ: Plonger-se bronzer-se défouler

الرياضة:

Jongler-garder-éliminer-se qualifier-centrer-marquer-passer-gonfler

السيارة:

Ralentir-dégriasser-crever-appuyer-dégrader-gonfler-accélérer-stationner-pomper

الاستخدامات اليومية (داخل البيت):

Souder-bricoler-plomber-couler (une dalle)-déplacer-placer-classer

الدراسة (بالنسبة للأساتذة):

Camoufler-remarquer-programmer-contacter-délibérer-préparer-vérifier-publier-participer-jongler-soutenir (une thèse)-communiquer-découvrir-analyser

الدراسة (بالنسبة للطلبة):

Remarquer-copier-vérifier-préparer-participer-soutenir(un mémoire)-contacter-consulter-découvrir-communiquer-camoufler

الاتصال:

Brancher-télécharger-connecter-contacter-débrancher-programmer-démarrer-téléphoner-redémarrer-rejeter-formater-enregistrer-supprimer-suspendre-lancer-cliquer-confirmer-suavegarder-ajouter-raccrocher-décrocher-découvrir-communiquer-activer-copier

العلاقات الاجتماعية والحميمية:

Fréquenter-remarquer-provoquer-se défouler-se suicider-demander-paniquer-menacer-souffrir-profiter-commander-découvrir-naviguer-déranger-diriger-communiquer-caoufler***

1- يتجلى عن دراستنا أن مجال الاتصال وتكنولوجيات الإعلام والاتصال هو الذي يتصدر

القائمة من حيث عدد الأفعال المستخدمة فيه.

ويتضح ذلك جليا من خلال الجدول الموالي:

جدول 1: استخدام الأفعال حسب السياق

النسبة (%)	عدد الأفعال	المجال
1.98	2	المال
1.98	2	التجميل
2.98	3	السفر
2.98	3	الشاطئ
7.92	8	الرياضة
8.91	9	السيارة
6.93	7	الاستعمال اليومي
13.46	14	الدراسة (الأساتذة)
10.89	11	الدراسة (الطلبة)
24.75	25	الاتصال
16.83	17	العلاقات الاجتماعية
100	101	المجموع

يتضح لنا من خلال هذا الجدول بأن المجال الأكثر استخداما للأفعال ذات الأصل اللغوي الفرنسي والتي أُدِّجَت في العامية الجزائرية هو من نصيب الاتصال بنسبة تقدر ب 24.75%. ثم يليه مجال العلاقات الاجتماعية والحميمية بنسبة 16.83%. يحتل المرتبة الثالثة بنسبة 13.46% المجال الذي تُستخدم فيه هذه الأفعال من طرف الأساتذة. ثم تليهم نسبة 10.89% المخصصة لمجال الطلبة. في المرتبة الخامسة، أحصينا الأفعال التي لها علاقة بمجال السيارة بنسبة 8.91%. في المرتبة السادسة، سجلنا نسبة 7.92% من الأفعال التي لها علاقة بمجال الرياضة. في المرتبة السابعة، تم إحصاء نسبة 6.93% من الأفعال التي تُستخدم في الأعمال اليومية. في المرتبة الثامنة، تم تسجيل نسبة 2.98% بالتساوي في ميداني: السفر والشاطئ. وفي الأخير، تم إحصاء الأفعال التي تنتمي بالتساوي لميداني: المال والتجميل بنسبة 1.98%. باستنادنا على هذه النتائج، يتضح جليا بأن السياق الذي تُستخدم فيه الأفعال ذات الأصل اللغوي الفرنسي في العامية الجزائرية هو مجال الاتصال وتكنولوجيات الإعلام والاتصال.

فقد شهد هذا المجال انفجار قنوات جديدة، مما خلق نظاما لغويا خاصا بها، والذي يشمل على منظومة من الإشارات، تخضع لنظام رمزي خاص بهذا السياق. هذه الحالة ليست خاصة بمجتمع محدد. هي نتاج العولمة (Globalisation ou mondialisation).

في 1999، لما صرحت Aline Gohard-Radenkovic بأن "القليل من المجتمعات تنجو من الظاهرة الإعلامية أو من الشبكة الإلكترونية"⁽³⁷⁾، نعتقد بأنها لم تتوقع المدى الذي ستأخذه هذه الظاهرة.

تأثير العولمة هو على جميع الأصعدة ابتداء من الاقتصادي، مروراً بالثقافي بدون أن ننسى التكنولوجي بكل ما ينجر عنه من تأثير على الجانب اللساني.

وبالرغم من أن "70% إلى 80% من موارد الإنترنت هي بالإنجليزية وفقط 3% إلى 4% هي بالفرنسية"⁽³⁸⁾ اللغة الفرنسية هي التي تحتل الصدارة في الجزائر عند استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة. قد نتساءل لماذا؟

نجد الإجابة عن هذا السؤال لدى رابح السبع حين يقول: "اللغة الفرنسية تحمل الرسمية. بدون أن تكون لغة التعليم، تبقى لغة نقل المعرفة. بدون أن تكون اللغة التي تعبر عن الهوية، تستمر في تشكيل المخيال الثقافي بعدة أشكال وعبر عدة قنوات. وبدون أن تكون لغة الجامعة، هي لغة الجامعة." ⁽³⁹⁾

بالفعل، فإنه بواسطة اللغة الفرنسية يتم نقل المعلومات في البنيات المختلفة في المجتمع الجزائري. وبفعل تأثير الاستعمار الفرنسي على كل بنيات المجتمع الجزائري، بقي للغة الفرنسية تأثير قوي على المخيال الثقافي لدى الجزائريين. وفي الأخير، تبقى أداة الاتصال المفضلة داخل الجامعة. لكل هذه الأسباب، تُعاش هذه اللغة على أنها اللغة الرسمية بدون أن تكون كذلك بشكل رسمي.

وهكذا، اللغة الفرنسية التي تم "إدخالها بالاستعمار، هي اللغة التي تنظمت حولها كل البنية الاقتصادية، الإدارية، الاجتماعية والثقافية للبلاد"⁽⁴⁰⁾، مما أثر على كل البنيات وحتى على العقلانيات إلى يومنا هذا.

في الوقت الراهن، يُقارن عهد تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة باختراع الطباعة وكل التغيرات التي تنجر عنها، ومكننا "الإنترنت من المرور من عهد المعلومة إلى عهد الاتصال على أعلى صعيد"⁽⁴⁰⁾ وبما أن اللغة مرتبطة بشكل المجتمع، فهي تتأقلم مع التغيرات الداخلية

والخارجية التي يعيشها المجتمع بخلق شفرة مرتبطة بالسياق الجديد. ولكن هذه الشفرة ليس لها بعد اجتماعي يخص طبقة ما، لا الطبقة العاملة ولا الطبقة البورجوازية، كما بينه Labov.⁽⁴¹⁾

في الجزائر، السياق مختلف. هذه الشفرة لا تهدف إلى التنشئة الاجتماعية للأفراد حسب انتمائهم الطبقي. يبقى الأفراد في تفاعل يومي، ويندججون في هذا السياق الجديد، مهما كان أصلهم أو انتمائهم الطبقي. هي شفرة موحدة بين كل الأفراد.

1- الأفعال ذات الأصل اللغوي الفرنسي يبقى لها نفس المعنى لما تُدمج في العامية الجزائرية.

تبقى محتفظة بمعناها، بإضافة مقطع (Préfixe) "ن" في بداية الفعل إذا كان الأمر يتعلق بالضمير المتصل المخاطب "أنا"، و"ي" إذا تعلق الأمر بالضمير المتصل "هو"، والانتهاة بلاحة (Suffixe) عند نهاية كل فعل. فيصبح لدينا عند استخدام الفعل Camoufler مثلا : "نكاموفلي" بمعنى أغطي على أمر ما. يتضح لنا بأنه عند استخدام الأفعال ذات الأصل اللغوي الفرنسي وإدراجها في العامية الجزائرية، بأن تغييرات نحوية أُدرجت على هذه الأفعال حتى تتماشى والبنية النحوية للعامية الجزائرية بدون التغيير في معناها.

2- يتضح من خلال هذه النتائج، أن العامية الجزائرية ديناميكية، وأنها "سيرورة ثقافية ولسانية في عملية بناء مستمر".⁽⁴²⁾ فهي تتطور عبر الزمن حسب الظروف التي تواجهها، وهنا نؤكد على السياق الخاص بتكنولوجيات الإعلام والاتصال، ولكن كذلك حسب فئة العمر. فقد تبين لنا بأن الشباب بوجه خاص هم الذين يستحوذون على سجل لغوي خاص بالفرنسية حيث يقومون بتبنيه، بتغيير بنيته النحوية حتى تتماشى وتُدمج في القاموس اللغوي للعامية الجزائرية. كل ذلك يؤكد على أن العامية الجزائرية ديناميكية، وليست جامدة كما يعتقد البعض.

3- تأثير اللغة الفرنسية على محتوى القاموس اللغوي للعامية الجزائرية دليل على التفاعل بين اللغة المكتوبة والواقع.

يلخص Jack Goody هذه المسألة بإشارته إلى تأثير وسائل وطرق الاتصال على الحياة اليومية، بقوله: "إذا كنا قادرين أن نبين بأن الكتابة تؤثر على اللغة في حد ذاتها، كنا سنجد كيف يتفاعل الأفراد مع العالم (...) البراهين على هذه التغييرات بالتأثير على المدى البعيد نوعا ما بفعل تغييرات وسائل وطرق الاتصال تكون على طرق فهم العالم بشكل عام".⁽⁴³⁾

ستتضح هذه العلاقة التأثيرية بين اللغة المكتوبة والواقع الجديد لتكنولوجيات الاتصال وقتواتها وسيكون لها وقع على طريقة فهم وإدراك ما يحدث في العالم.

خاتمة: يتضح لنا من خلال النتائج التي توصلنا إليها، واستنادا على اقتراحات Basil Bernstein ما يلي:

- نظام الكلام ونقصه به استخدام العامية الجزائرية هو نتاج شكل العلاقة الاجتماعية التي تجمع الأفراد في الوسط الذي يعيشون فيه.
- يتم استخدام الشفرات كنمط للتنشئة الاجتماعية حسب الجماعات الاجتماعية، لتحديد تمثلاتهم حول العالم، للتغيرات التي يعايشونها.
- من جهة أخرى، مكنتنا هذه الدراسة من الخروج بنتيجة مفادها أن العامية الجزائرية هي في علاقة وطيدة مع السياقات الجديدة التي يعيشها الأفراد على المستوى العالمي، وتحديدًا مع تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة.
- أضف إلى ذلك، الأفعال ذات الأصل اللغوي الفرنسي المدججة في القاموس اللغوي للعامية الجزائرية تبقي على نفس المعنى الأصلي.
- كل ذلك، يدفعنا للقول بأن العامية الجزائرية هي ديناميكية وفي إعادة تشكيلها المستمر.
- هي ليست وسيلة اتصال فحسب، فهي تمكن من ترسيخ الهوية لدى الأفراد.
- تحمل إشارات، تبني نظاما للتصورات، بتحديد لها للعلاقة مع "الآخر".
- تفتح هذه الدراسة زوايا أخرى في عالم اللغة، كدراسة تأثير المكتوب على الشفوي.

هوامش البحث:

(1) Dictionnaire de la philosophie, Paris, Librairie Larousse, 1964

(2) عبد الملك مرتاض ، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص.8

(3) François Gadet, Saussure une science de la langue, France, PUF, 3eme édition, 1996, p.36

(4) هاريس روي ، تيلر تولبت جي ، أعلام الفكر اللغوي، ترجمة : أحمد شاكر الكلاي، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2003، ص.260

(5) محسب محيي الدين ، اللغة والفكر والعالم، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997، ص.30

(6) هاريس روي، تيلر تولبت جي، مرجع سبق ذكره

(7) نفس المرجع السابق، ص.261

- (8) ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الفكر، 2004، ص.574
- (9) نفس المرجع السابق
- (10) زهير غازي زاهد، العربية والأمن اللغوي، الأردن، مؤسسة الوراق، 2000، ص.31
- (11) Ollivier Bruno, Les sciences de la communication, Paris, Armand Colin, 2007, p.22
- (12) Ibid, p.25
- (13) مارتن هايدجر، كتابات أساسية، ترجمة: إسماعيل المصدق، المجلس الأعلى للثقافة، 2003، ص.119
- (14) نفس المرجع السابق
- (15) عبد الوهاب شعلان، مسألة اللغة في "الآن": التعارض في اليومي، في مجلة كتابات معاصرة، العدد 67، 2008، ص.ص 6-10
- (16) حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2005، ص.107
- (17) نفس المرجع السابق، ص.114
- (18) عبد الرحمن عزي، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية، الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، ص.151
- (19) بلقاسم بن روان، وسائل الإعلام والمجتمع، الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2007، ص.22
- (20) Josiane Boutet, Langage et société, France, Editions du Seuil, 1997, p.47
- (21) Jean-Louis Dessales, Aux origines du langage, Paris, Hermes Science Publications, 2000, p.36
- (22) Ibid., p.48
- * يُعرف الشعر الملحون في دول عربية أخرى بالشعر العامي وبالشعر النبطي في دول الخليج العربي.
- (23) ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص.603
- (24) منيف موسى، الشعر العامي اللبناني في اللهجات والكتابة والتنظير، المؤتمر الثاني للثقافة الشعبية، مرجع سبق ذكره، ص.550
- (25) عبد الملك مرتاض، مرجع سبق ذكره، ص.7
- (27) A.Martinet, La linguistique synchronique, études et recherches, Paris, P.U.F, 1965, p.3
- (28) A.Martinet, La linguistique synchronique, études et recherches, Paris, P.U.F, 1965, p.3, dans : Paul- Michel Filippi, Initiation à la linguistique et aux sciences du langage, Paris, Edition Marketing, 1995, p.76
- (29) Judith Lazar, La science de la communication, France, Presses Universitaires de France, 2eme édition, 1992, p.p 79-80
- (30) Ibid., p.80
- (31) Judith Lazar, Sociologie de la communication de masse, Paris, Amand Colin Editeur, 1991, p.181
- (32) أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص.87
- (33) سورة النحل، الآية 78 من القرآن الكريم.
- (34) Roland Doran, Françoise Parot, Dictionnaire de psychologie, Paris, PUF, 1991, p.238

(35) Roger Delmine, Sonia Vermeulen , Le développement psychologique de l'enfant, Bruxelles, Editions de Boeck Université, 7eme édition, 2007, p.19

(36) أنتوني غدنز ، مرجع سبق ذكره ، ص.88

* * هي نتائج دراسة قمنا بها في إطار ملتقى دولي من تنظيم مخبر LAFRAMA وذلك يومي 23 و 24 أبريل 2014 بوهران حول "الفرنسية في المغرب"

* * * هذه القائمة تخص الأفعال التي تم تجميعها في فترة الدراسة الميدانية ولا تعني أنها تضم كل الأفعال المستخدمة بشكل حصري.

(37) Aline Gohard-Radenkovic, Communiquer en langue étrangère, Allemagne, Peter Lang SA, 1999, p.17

(38) Sous la direction de M.Benguerna et A.Kadri, Mondialisation et enjeux politiques, Alger, CREAD, 2001, p.26

(39) Rabeh Sebaa, L'Algérie et la langue française, l'altérité partagée, Oran, Editions Dar El Gharb, 2002, p.85

(40) Gibert Granguillaume, Langue, identité et culture nationale au Maghreb, France, dans Revue Peuples méditerranéens, octobre-décembre 1979, p.p 3-28¹ (1) Sous la direction de M.Benguerna et A.Kadri, op.cit.

(41) Bruno Ollivier, Les sciences de la communication, Paris, Arman Colin, 2007, p.27

(42) Rabah Sebaa, op.cit., p.75

(43) Jack Goody, Entre l'oralité et l'écriture, Paris, Presses Universitaires de France, 1994, p.269